

لمسرح قادر وعلى مستوى الطموح في المضمون والشكل يقدم حلولاً وسبل نهوض

د. نجاح العطار والفن المبتدع يابدع المبدعين



مسرح بصرى الأثري



الدكتورة نجاح العطار



نائب رئيس الجمهورية د. نجاح العطار

جعلنا الثبات في الموقف شعاراً والفرح إطاراً لصمودنا المتزج بالدم والنغم حين ينطفئ النهار تفتتح النجوم في الأكف وتشع الأنوار في الدماء

إسماعيل مروة

فالسيدة الوزيرة آنذاك وضعت خطة إستراتيجية لهذا المهرجان بدوره، وقد رأينا أنه لا يشبه غيره من المهرجانات من حيث الغالبات وتنوعها وتوزعها الجغرافي، وبدل أن نعزز دور هذا المهرجان وأن تصوب خطواته، وأن نهتم بالسوري أديباً وإنساناً بشكل أفضل، فقد عملنا على طمس هذا المهرجان وتناثر أوراقه، وكأننا ننتم من مهرجان مركزي على أنه مشروع شخصي لا مشروع وطن! وبدل أن نعلم المهرجانات كل المناطق حسب خصوصياتها ضاع مهرجان المحبة!!

بصرى ومسرح الأديبة

وتأكيداً لأهمية نشر الثقافة بكل أبعادها على مساحات الوطن كانت المهرجانات من دمشق ومهرجانات المسرحي إلى اللاذقية ومهرجان محبتها ومن ثم إلى بصرى ومهرجاناتها على مسرح التاريخ والحضارة، وتؤكد الدكتورة نجاح العطار ضرورة شمولية المهرجانات والأفراح والأنشطة لتغطي مساحات الوطن كلها، ما يدل على أن الأبعاد السياسية والثقافية كانت موجودة في الذهن عند إحياء مهرجان بصرى المسرحي والفني «في نهضتها الثقافية الجارية والرائعة، التي هي جزء من نهضة سورية الحديثة الشاملة، يأتي مهرجان بصرى بمنزلة العرس الثقافي، بل هو عرس الأعراس الثقافية، لأنه يشمل القطر كله، من جنوبه إلى شماله، ومن شرقه إلى غربه.. لقد كان حلاً من الأقطار جماهيرية وشعبية العربية في سورية، وضيوفاً من الأقطار العربية وغيرها، الفنية العالمية، وأن تصل إليها في عواصمها الجديدة، فإذا بمهرجان بصرى الدولي، يحقق هذا الحلم، ويأتي بهذه الفرق إليكم..»

وبذلك استطاع مهرجان بصرى أن يحقق التواصل الثري والفني، العالمي والعربي مع بصرى وجهاً بوجهاً ويتواصل على مساحة الوطن، ويتحقق شعار الثقافة بأنها حاجة علمياً، وتؤكد الدكتورة العطار أهمية الثقافة، وأنها ليست ترفاً، وليست هامشية، بل هي الأساس في بناء الإنسان وتحقيق تواصله مع العالم الآخر، سواء كان هذا العالم داخلياً أو عريباً أو عالمياً.

«الفن المبتدع، توثيقاً لمرحلة، وتأكيداً لأنشطة كانت تغطي سورية، ونحن بحاجة ماسة لمراجعة هذه الأنشطة والمهرجانات لتشكل راداً لنا، لننهض من جديد في بناء الثقافة والإنسان، وهو ما تحتاجه سورية في المرحلة المقبلة، بل في مراحل بناء الإنسان، والكل يشهد بأن بناء الإنسان أهم، والثقافة هي الركن الأول من بناء الإنسان، أما الإعمار المادي فله تجاره وعمله وغاياته، وقد تكون من أي جهة في الكون.

المهرجان من إمكانيات المنشآت الرياضية التي أنشئت بسبب دورة المتوسط التي استضافتها سورية، وكان على المهرجان ملاحظات لا تصل إلى إيجابية واحدة، منها ما يتعلق بالمشاركات السورية، وتحول السوري كثيراً، وقد حضرت دورات عديدة من هذا المهرجان الفني، ويجهد شخصي مني إذ لم أوع يوماً بأي صفة، وفجأة تحول هذا المهرجان من وزارة الثقافة إلى الإدارة المحلية لتصرف عليه المحافظة، ومن ثم تلاشي، فخرست سورية مهرجاناً نوعياً مهماً وغنياً، مع أن المهرجان وجد لأسباب مهمة أوجزتها الدكتورة العطار في الدورة الخامسة منه «مهرجان المحبة مسؤولية، على مستوى تاريخ المدينة وحاضرها، ونمو الحركة الثقافية المقدمة في المهرجان عامه الخامس في هذه الدورة، ومطلوب منا أن نحدد بدقة ما نريد منه، ليكون أيضاً على مستوى مرحلة إنسانية تشهد متغيرات عالمية كثيرة، ومنعطفات خطيرة، ويكاد الإجماع العربي والدولي يتوحد في اتقائه على أن الثقافة هي السلاح الأساس لتغيير عالم يبدو الآن وكأنه أصابه من جنون، وإنهاض واقع عربي ينترى يوماً بعد يوم، ويشهد انحساراً في القيم، وانكفاء في الضلال، وتكوصاً عن الشيم الرفيعة في كثير من المواقع.. لن نحصل مهرجاناً أكثر مما يمكن أن يحصل أو يتحمل، ولكننا نريد لكل تظاهرة حضارية في قطرنا، أن يكون لها شأن وشأ، ودور ورسالة ومضامين».

فقد وفقت الدكتورة العطار عند مجموعة من القضايا المهمة وقد قدمتها حسب أهميتها: - تاريخ المدينة وحضارتها وحاضرها، فهي المدينة التي تعد واحدة من أقدم مدن العالم وأكثرها أهمية، ومن هنا تأتي أهمية أن يكون المهرجان لائقاً بالحضارة والحاضر - تحديد هوية هذا المهرجان الذي من المفترض ألا يشبه المهرجانات الأخرى، وأن يكون محدد الغاية منه، محدد الهوية، محدد في المنطق والنقطة النهائية، وخاصة تبعاً للمرحلة التي نتعقد فيه دورات هذا المهرجان. - المهرجان ليس ظاهرة احتفالية، وإنما هو سلاح حسب الإجماع العربي والدولي، ويجب استثمار هذا السلاح الحضاري الذي يعزز قيم الإنسان ونضاله ومبادئه. - مواجهة ما يواجهه الإنسان من تغول عالمي يحاول طمس الهوية.

معرفة حقيقة دور المهرجان، وعدم تحميله أكثر مما يستطيع أن يحمل من أنه ظاهرة حضارية وإنسانية وثقافية يجب أن تأخذ دورها الحقيقي من دون أن تتنازل عنها. - وللمحبة مهرجاناتها وموسمها لعل جيلنا يذكر ولادة هذا المهرجان المميز الذي يعني بصورة أولى وجود فعاليات في المحافظات العديدة من دون الاقتصار على العاصمة المركز، ويعني كذلك الاستفادة من طاقات المناطق السورية كافة، ومن كل الشروط المناخية والبيئية، ويعني بصورة أوسع تحويل سورية إلى مهرجان وعرس ثقافي وحضاري بمثابة كافة، وفي عموم أوقات العام.. ومهرجان المحبة في اللاذقية من التظاهرات المهمة التي ولدت من أفكار وزارة الثقافة، وحاز سمعة عربية وعالمية، واستضاف أهم الشخصيات العربية والعالمية، وأهم الفرق، واستفاد

وعالمية من خلال الطاقات التي عمل عليها وعلى تدريبها وتأهيلها لتكون منافسة على مستويات رفيعة من الفن وإتقانه.

المسرح ظاهرة حضارية

لم يكن المهرجان مناسبة استعراضية سورية، ولم يتحول إلى حملات دعائية بقدر ما كان وسيلة لإيصال رسالة الحق والخير والعدل، وذلك من خلال تلاعب الآراء المتعددة والكثيرة التي كانت تجد في مهرجان دمشق الدكتور العطار بحسبها التقدي العالي، واستشرافها الثقافي الدور المنوط بالمسرح، وشرحته وبيته، بل ربما خذرت في غيابه، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن أسباب خيابه ولو بالحدود الدنيا، وهو الذي يحقق كل هذه الغايات: «نجعله كدياناً، رسالة محبة، وسلام، وعدل، ونداء أمة إلى الأمم، في أن يكون السباق في ميدان الحضارة، هو السباق الذي تتحلى فيه روعة الفكر الإنساني العظيم، ونقطة الإشراق البشرية، إذ هي طموح إلى عيش يعلو على معنى العدوان، ووجود لا اغتصاب لحق فيه، ولا احتلال لأرض الغير، ولا تمييز في العرق أو اللون.. كان مسرح بصرى ساح مهرجان، قل هي الأعراس، من جمالات ورؤى، وقطاف دنيا من الإبداع توافدت رسله، وتواعدت لتتلاقى على مسرح فريد في المسارح، قدماً، وجبروتاً، وصنعة تحار الأبواب فيها، ويرتد الطرف كثيراً من دهش وإعجاب».

في الفكر وفي جوهر الفكر الإنساني يعيش المسرح، ورسالته كما توضحها الدكتورة العطار رسالة إنسانية تتجاوز أي حد يمكن أن يتخيله المرء، وهذا جزء من أهميته التي رسمها.

وللمحبة مهرجاناتها وموسمها

لعل جيلنا يذكر ولادة هذا المهرجان المميز الذي يعني بصورة أولى وجود فعاليات في المحافظات العديدة من دون الاقتصار على العاصمة المركز، ويعني كذلك الاستفادة من طاقات المناطق السورية كافة، ومن كل الشروط المناخية والبيئية، ويعني بصورة أوسع تحويل سورية إلى مهرجان وعرس ثقافي وحضاري بمثابة كافة، وفي عموم أوقات العام.. ومهرجان المحبة في اللاذقية من التظاهرات المهمة التي ولدت من أفكار وزارة الثقافة، وحاز سمعة عربية وعالمية، واستضاف أهم الشخصيات العربية والعالمية، وأهم الفرق، واستفاد

«الكلام على الفن مثل الكلام على السحر، على السر الذي لا يدرك كنهه، على الخلود الذي مات جلعامش دون نبته العجيبة، النبتة التي أتت عليها أفعى، وهو نائم على حافة بئر، فضاع الخلود قبل أن يتحقق». هكذا ترى السيدة الدكتورة الأديبة الترفزة باللغة والبلاغة والصورة نجاح العطار الفن، فهو أقرب إلى الاستحالة، لأن عمق غوره لا يخضع لعلم، ولأنه سحر لا يدرك، قد يؤمن به بعضهم ويرفضه آخرون كثر، وهو الخلود الذي أراده جلعامش حسيباً مدركا، وما هو إلا من قبيل الحلم المستحيل.. هذا هو الفن في جوهره، عصي على الفهم، وربما كان عصياً على القبول، وكأنها تريد أن تشير إلى ما نحن فيه، لأننا لم نفهم الفن كما يجب أن نفهمه، فبقي طليماً لا يدخل أرواحنا، ولغزاً لا يقدر على تغيير ما لدينا من قناعات، ولأن الخلود محال، فقد أثرنا الابتعاد عن البحث فيه وعنه، وسلمنا بروية هي الغيب الذي لا يدرك لكنه يسى.. هكذا تستهل الدكتورة العطار كتابها التوثيقي الجديد (صفحات من الفن المبتدع بروى المبدعين) وبعد سلسلة من الكتب السابقة التي وثقت مسيرة ربع قرن من السيمنا والأدب وسواهما جاء هذا الكتاب ليختص بالمسرح والمهرجانات التي نبتت في الأرض السورية.. بعضها غاب نهارياً، بعضها احتجب لغيب الرعاية وتنازعاها، وبعضها غاب فرسانه، فأثر الاعتزال..!

دمشق ومهرجاناتها المسرحية

حاربه حساده ولم يقدروا عليه، وأهلنا عليه التراب دون أن نشعر بتأنيب ضمير، ومن أدرك مهرجان دمشق المسرحي يعرف قيمته، فهذا المهرجان قديم في دمشق، وحمل اسمها، وتسايق إلى المشاركة فيه كل الفنانين العرب، ففي مهرجان دمشق قدم سعد الله ونوس أعماله المهمة التي أخرجها عديدون، وتسايق إليه مسرحيو تونس ومسرحيو الكويت، وكانت الكويت تشهد نهضة مسرحية من أعلامها صقر الرشود، وأسست لحركة مسرحية مهمة قادها زكي طليمات والشرقاوي ومطواع، وفي مسارح دمشق كانت تتبارى هذه الفرق المسرحية، واستعداداً له تجهز أفضل النصوص، وتقدم على مسارح دمشق أيها العروض، وقد أشاد الأستاذ الدكتور علي الراعي رحمه الله في كتابه (المسرح في الوطن العربي) بمهرجان دمشق الذي كان أهم مهرجان مسرحي عربي، وكل المداين كانت تعمل على تقيده.. الذي ساقني للحديث عن هذا المهرجان الغصنة من توفقه النهائي اليوم ومنذ زمن، مع أن السيدة العطار عندما كانت وزيرة للثقافة واجهت كل المداين التي كانت تعمل على نقله من دمشق إلى مداخل أخرى، ولو لم يكن مهرجان دمشق مهماً لما تمت مناقشة نقله على مستوى وزارتي في جامعة الدول العربية، وهذا ما تقوّه في الحادثة الأتية التي توردها الدكتورة العطار في استهلالها:

«ولعل من أطرف الأحداث التي مرت بها مسيرة هذا المهرجان ما جرى في مؤتمر وزراء الثقافة العرب الأول في عمان، إذ كانوا قد اتخذوا قراراً بنقله من دمشق، وتداوله بين العواصم العربية.. وفي الاجتماع كان مقعدي إلى جانب ممثل العراق، وكنا آنذاك على خلاف.. وأراد أن يصوت الوزراء المجتمعون على نقله من دمشق، وتصدى له، وللمفارقة، وزير العراق آنذاك الدكتور طارق عزيز، وقال لماذا تغفلون ذلك بكل عمل ناجح؟ مهرجان دمشق المسرحي معلم ثقافي وحضاري متميز ومفرد، ويجب أن يبقى في دمشق». لو لم يكن مهرجان دمشق المسرحي بهذه الأهمية، فهل كانت جلسة التصويت لسرقتة ستم؟! وتذكر الدكتورة العطار أهمية المهرجان، فيسببه ولد المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق الذي خرج مبدعين وفنانين الذين شكلوا صناعة فنية سورية لم تحسن استغلالها، كما لم تحسن الحفاظ على مهرجان دمشق للفنون المسرحية، ولو بحدوده الدنيا، لأنه الوحيد القادر على خلق بيئة مسرحية لفنانينا، والقادر على جلب الفرق المسرحية لتبادل الخبرات. وهذا الاستهلال المنطقي ينتهي بنتيجة منطقية «تاريخ مضى، تقولون؟ صحيح، ولكن أهمية كل ذلك تبقى تكري للحاضر، تشجع وتؤكد وتقيد في بناء كل ما هو جديد وجميل». فهل تعود لبناء هذا المهرجان وفق معطيات الحاضر وتقنياته، ولو كان ذلك صعباً، أم إننا ستردد مع جوقة المتشائمين بأن زمن المسرح انتهى؟! من رحم هذا المهرجان ولد المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق، والذي تحول إلى منارة إبداعية سورية وعربية

اللغة العربية في زمن العولمة... التحديات والآفاق

د.سليطين: تلاشي الاهتمام باللغة القومية عند الأجيال الجديدة نتيجة الإقبال على لغة الغالب المنتشرة

مشيراً إلى أن مفهوم «المعاصرة» يقتضي هذا الوعي لتجاوز الفجوات التاريخية للأطراف ويقتضي على المستوى الخاص باللغة العربية تضافر الجهود لمد جسور التواصل داخل اللغة نفسها على النحو الذي يهيئ لبينة عقلية جديدة، تحملها اللغة وتطوي عليها.

في الختام

في آخر البحث أشار سليطين إلى أن الحلول في وجوب المزاوجة بين النهضة واللغة، أو بين المشاركة في صنع العالم وتحديد اللغة بالتفاعل والتبادل، وتوسيع السياق والانفتاح على الوافد وتبنيته في عمليات التخصيب والإغناء المتبادل بين اللغة والحياة. وذلك ما يتطلب من الإسهام في مجرى الثقافة المعاصرة والاضطلاع بدور فاعل في إنتاج حضارة العالم الجديد، متابعا بأن هذا كله يقتضي منا في المقام الأول إعادة النظر جذريا في أوضاعنا العربية لإزالة العوائق وتوحيد الجهود بالعمل على تحقيق المستوى الضروري من تكامل الموارد ونضافرها بالعمل على تحقيق المستوى الضروري من تكامل الموارد وتضافرها، وتفعيل العمل المشترك في ضوء إستراتيجية كبرى تمكنه من تجاوز أوضاعه المتأخرة ونهيه؛ له الزخم الضروري لانطلاقه جديدة نوعياً تضعه في قلب العالم المعاصر سبدياً أثرها في مستوى تجديد اللغة وتمكينها.

رأس المال المعولم واختراق الحدود القومية بفعل الشركات العابرة للقوميات وسياسات الانفتاح الاقتصادي لتوحيد العالم على مستوى السوق. وبأن كل ما سبق وغيره من التحولات المصاحبة التي تعدد المجال الاقتصادي إلى المجالات الثقافية والسياسية، حمل لغة المركز العولمي على اكتساح أرجاء المعمورة، متابعا بأنه بحكم العلاقة التي تربط اللغة بالهيمته المتمثلة في النظام الاقتصادي الجديد وبالانفجار العربي المبني على ثورة المعلومات، باتت اللغة القومية مهددة بالانحسار والتلاشي أمام لغة الغالب الحاملة للتحولات الجديدة والحاكمة لمجتمع المعرفة والتواصل وتدفق المعلومات. خاتماً هنا بأنه من آيات ذلك ما يلاحظ اليوم من توجه بعض سياسات التعليم في الوطن العربي إلى ربط التعليم بالسوق، واعتماد اللغة السائدة في ميادين الإنتاج العولمي، إحراز الغاية المؤملة من فتح سياسات التعليم الجديدة على احتياجات سوق العمل.

الوعي اللغوي الجديد

حول هذه النقطة تابع الباحث بأن الوعي اللغوي الجديد هو في الآن نفسه ثقافي وحضاري يليبي حاجات التغيير، ويسد الهوة التي يحدثها التسارع العولمي في معطياتها المتصلة بتورة الاتصال والمعلومات وتكنولوجيا المعرفة.

الحفاظ على اللغة بدعمها وتحديثها وتيسير شؤونها ليس أمراً رغبوياً أو إرادياً

بين الأمم في سياق الإنتاج العلمي والوجود الحضاري.

المعرفة باللغة القومية

تحت عنوان «اللغة العربية وتحولات العولمة الفعل والاستجابة»، أوضح المؤلف بأن ما يشهده العالم من تحريف السلعة وتدفق



د. سليطين محمود سليمان

الأجنبية، أو من سيل الانفتاح على لغة الآخر لاستخدام منها والتفاعل معها، ضمن رؤية إستراتيجية تحفظ التوازن، وتلبي غايات التطور، وصولاً إلى المشاركة في الإنتاج، إنتاج العلوم والمعارف، بدلا من الركون والعطالة والاستهلاك. متابعا بأن العلاقة المختلة في غياب التنصرت الضرورية، انتهت بالمعادلة في واقع التعليم، إلى شيء من تلاشي الاهتمام باللغة القومية عند الأجيال الجديدة نتيجة الإقبال على لغة الغالب التي تعم مجالات الوجود في مختلف قطاعات الإنتاج والمعرفة وتطبيقات العلم، مشدداً على أن ما يزيد الأمر سوءاً هو الدونية اللغوية في البدء المبكر في تعليم اللغات الأجنبية، مع ما يصاحبه من الانصراف عن اللغة الأم منذ سني الطفولة، مشيراً إلى أن الضرر هنا لا يقتصر على اللغة، بل يتعداه إلى الثقافة والهوية.

الحفاظ على اللغة

يقول سليطين تحت عنوان المجال الثقافي وتحديث اللغة، بأن أمر الحفاظ على اللغة بدعمها وتحديثها وتيسير شؤونها، ليس أمراً رغبوياً أو إرادوياً يتوقف على الحماسة والتجرد للفعل، على الرغم مما تؤديه الجهود المبدولة هنا وما تنهض به من وظائف، موضحاً بأن واقع اللغة تتدخل فيه عوامل مختلفة أشار إلى بعضها؛ وضع الجماعة اللغوية

سوسن صيداي

لغتنا هويتنا، وأداة للتواصل والتعبير عبر آلاف السنين، ولكن ماذا عن الإنسان الجديد الذي ستلده ظروف العولمة الجديدة والمختل من كل اهتماماته السابقة، أسئلة تتخلل من هنا ولكن للإجابة عنها صدر كتاب (اللغة العربية في زمن العولمة... التحديات والآفاق)، تأليف د. وفيق محمود سليطين، والصادر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب، ضمن سلسلة «قضايا لغوية»، من القطع المتوسط ويقع في ٦٤ صفحة، وفي تقديم الكتاب يعتبر الباحث بأننا إذا ما أردنا تنمية رأس مالنا الرمزي الذي تمثل اللغة، وجب أن يكون لنا موقع على خرائط التغيير، نعزز بالمشاركة، وبالإسهام فيما يجري دفاعاً أو تعديلاً. وهذه المشاركة تتطلب، بلا شك، التسلح بأدوات العصر ومعارفه، وإثبات هذه المشاركة هو إثبات للغة الفاعل وتحصين لها، وعلى ذلك يكون حضور الذات اللغوي محصلة للقوى والمفاعليات الحضارية للأمة، وليس مبدأ مكتفياً بذاته.

العناية باللغة

عن العناية باللغة الأجنبية يقول د. سليطين بأن العناية بلغة الآخر استدعت حضوراً دونياً للغة الذات، ويقول قوله هذا من دون أن يفقد التقليل من أهمية العناية باللغة